علمية وعالمية اللّغة العربية

الإرادة السياسية والانطلاقة الحضارية •

الأستاذ الدكتور: محمد العربي ولد خليفة

رئيس المجلس الأعلى للغَة العربيَة

• بحث ألقي ملخصه في مؤتكر اتحاد المجامع العربية – دمشق- مارس 1999

I. من الجهد إلى الاجتهاد:

نعرض في الجزء الأول من هذه المقاربة، ملاحظات أولية حول جوانب من إشكالية المصطلح والمفهوم في علوم الإنسان، والمجتمع، على ضوء الجهود. التي بذلت في المجامع والجامعات ومراكز البحث، في منطقتنا العربية لملاحقة الانفجار الهائل في ميادين المعرفة الإنسانية، وما صاحبها من الإبداع في الفنون والآداب، تقوم المعلوماتية ووسائل الاتصال بنشره عبر العالم في لمح البصر، كما بدأ الحاسوب، في خوض غمار الإبداع وبرمجة القصص والروايات والموسيقى والترجمة الآلية إلى عشرات اللغات، وحسب الطلب.

ثم نناقش في جزئها الثاني، بعض إشكاليات الواقع المعرفي في السياق الحالي للتطور العلمي، والاجتماعي منه بوجه خاص، بدون أن ننسى أن ما هو راهن ومعاش اليوم، ليس بداية من صفر، بل هو نتيجة لتراكم المعرفة والخبرة والتجربة عبر مئات السنين، ونؤكد منذ البداية أن تراثنا الموروث هو مرجعيتنا الحضارية بما فيها من عقيدة

ولغة وعلوم وفنون لآداب ومسلكية، تضعنا أحببنا أم, كرهنا في مجال جغرافي سياسي- حضاري- واحد، أو متقارب عند الآخرين في عالم الأمس واليوم ، فإذا كانت العقيدة هي ركن الهوية وأساس التضامن والانسجام في المجتمع، فإن التجربة التاريخية للمجتمع الجزائري لا تجعل اللّغة العربية من مقومات السيادة فحسب، بل تشخص فيها السيادة نفسها.

إن تلك المرجعية الحضارية الزاخرة بالمنجزات الثقافية والفتوحات العلمية، هي التي تحثنا على عدم الاكتفاء بالتنويه بمآثر الأسلاف، وتدفعنا إلى السعي الحثيث لمواصلة ما قام به الأجداد من جهد واجتهاد، لتضييق الفجوة التي تفصلنا عن موكب المقدمة.

اقترن الجهد بالاجتهاد، في وقت مبكر من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، فمن جابر بن حيان (توفي **200**ه. -**815**م) حتى ابن رشد (توفي **595**ه-**1198**م) وابن خلدون (**808**ه-**1406**م) نجد عشرات المصنفات والرسائل فيما سموه الرسوم والحدود التي تعنى بالتعريف والمفهوم والمصطلح وحقله الدلالي أو مجال انتشاره (الأعسم **1991**)، وحظيت الفلسفة وعلوم ذلك العصر مثل فقه اللّغة وقواعدها والمنطق والتاريخ والفقه وأصوله، فضلا عن الرياضيات والعلوم التطبيقية

على قصب السبق، و لم يكتف الرواد الأوائل بنقل علوم الأولين وحفظها من الضياع، بل أضافوا إليها الكثير وطوروها،

حتى تبؤأت اللّغة العربية مقام اللّغة العالمية، كما هو الحال اليوم بالنسبة للغة الإنكليزية، فقد كانت جسر النجاة الذي عبرت عليه أوروبا القرون الوسطى، نحو عصر النهضة والأنوار، إن بعض ما نقلوه إلى العربية تجاوز في دقته وجماليته الأصل، كما هو الشأن في رائعة كليلة ودمنة التي لا ينكر أحد مؤلفها الأول.

وقد أشار أبو حيان التوحيدي (التوحيدي نشر القاهرة **1929**) إلى أهمية إتقان لغة العلم المشتركة بين الأدباء والمختصين في فروع المعرفة الأخرى بقوله: " أحوج الناس إلى معرفة هذه الاصطلاحات الأديب اللطيف الذي تحقق أن علم اللّغة آلة لدرس الفضيلة لا ينتفع به لذاته، ما لم يجعل سببا إلى تحصيل هذه العلوم الجليلة، ولا يستغني عن علمها طبقات الكتاب لصدق حاجتهم إلى مطالعة فنون العلوم والآداب".

* إذا أخذنا الفلسفة ام العلوم كمثال على جهد العلماء العرب واجتهادهم فإننا نجد أن التراث الهليني كان بالنسبة لهم نقطة انطلاقة والتفكير وتطويع اللّغة وإثرائها

بالمصطلحات والمفاهيم حتى أقرت الباحثة أ.م.غواشون **A.M.GOICHON** المختصة في معجمية ابن سينا (الأعسم، ن م م) بالحقيقة التالية :

* " سمح غنى النصوص الفعلية للغة العربية بقيام تحديدات كثيرة للمعجمية اليونانية ...، لقد كوّنت هذه الفكرة بعد أن درست معجمية أرسطو (٠٠)، إنه لمن المدهش حقا أن نجد، عندما ننظم سلسلة الكلمات الفنية لأرسطو وابن سينا، أن ثلث التحديدات السنوية غير موجودة عند أرسطو"

كما توصّل علماء الحديث وأصول الفقه، إلى وضع منظومة مفاهيمية ومصطلحية، على درجة عالية من التناسق والوضوح، ولذلك يعتبر الفقه وأصوله من العلوم العربية الإسلامية البحتة من ناحية المنهج والمضمون، وهو ما يمكن قوله أيضا على علم العمران الذي شرع ابن خلدون في وضع نظرياته ومفاهيمه ومصطلحاته، ومنها المعاش الذي تدرس المجتمع وظواهره الاقتصادية، في حالتها المتفاعلة وفي امتدادها التاريخي الثقافي وهو ما يطلق عليه المعاصرون اسم علم الأناسة في مقابل مصطلح "أنثروبولوجيا" الأنغلوسكسوني.

(د.عبد المجيد مزيان **1988**، محمد الشامي وحسن الجوهري: ترجمة لقاموس مصطلحات الإثنولوجيا والإثنوغرافيا، لريكه هولتراكس **1973**).

إن إشكالية المصطلح، وخاصة في علوم الدقة (**SCIENCES EXACTES**) أو العلوم التطبيقية وعلوم الانسان والمجتمع، لا ترجع إلى مدى مطاوعة اللّغة العربية، وقدرتها على تسمية الأشياء، وضبط المفاهيم، وتوليد المفردات النمطية، واللّغة الوسيطية، أو المقوعدة في تعبير الأستاذ عبد الله العروي، الخاصة بكل علم، فذلك أمر لا يمارس فيه المستلبون ضحايا الاستعجام.(عبد الله العروي **1983**).

إن المعضلة تتعلق بتراجع النشاط العلمي، ثم توقفه لعدة قرون، حتى أن علماء مؤسسين، ومن أعلى طراز، مثل ابن الهيثم وابن رشد وابن خلدون...، عاشوا خارج عصورهم، بل تجاهلوا اللاحقون، و لم يستعيدوا مكانتهم في هرم المعرفة الإنسانية، حتى عني بهم المستشرقون، ودرسوا نظرياتهم، وشرحوا مفاهيمهم ومصطلحاتهم، وقد

ساهمت تلك الدراسات والترجمات، في إعادة تأسيس علوم الإنسان الحديثة على يد فرانسيس بيكون وأوغست كونت.

نحن على يقين بأن القضية الأولى التي تشغل بال الكثير من ساستنا ومفكرينا، هي اجتياز الهوة التي تفصلنا عن ركب المقدمة، واكتشاف السبيل الأنجع والأقصر لإنتاج العلم والمعرفة، وهما القيمة المضافة الأهم، والطريق الصحيح لاكتساب الهيبة والمناعة.

لا شك أن جهودا كبيرة قد بذلت في هذا الاتجاه، منذ بداية القرن العشرين على الأقل، كما عقدت مجامعنا العريقة، وجامعاتنا ومعاهدنا المتخصصة عشرات الندوات والملتقيات، وأسفر ذلك الجهد عن ثمار طيبة في ميدان المصطلح العلمي، وساهمت مخابر اللّغة، مثل مخبر اللسانيات والصوتيات في الجزائر، ومكتب تنسيق التعريب في الرباط، في تقنين اللّغة العربية، وإثراء رصيدها العلمي، غير أن الهدف الحقيقي يبقى توطين العلم بكل فروعه، والتحكم في التقانة والخبرة في النقطة التي وصلت إليها اليوم.

2- من المفهوم إلى المصطلح :

قد يكون من المفيد في أية مداولة حول قضايا المفهوم والمصطلح في علوم الإنسان أن نستحضر الجوانب التالية:

— تتصف تلك العلوم بالخصوصية، بسبب ارتباط أطرها النظرية وإنساقها المفهومية بالبيئة التي نمت فيها، والحقبة التاريخية التي حددت موضوعاتها ومناهجها، ونوعية اللّغة الغنية المستعملة فيها، فلو تفحصنا النظريات الكبرى التي هيمنت على الإنتاج المعرفي في القرن الماضي، مثل الوظائفية والتفسيرية والإنسانية والبنيوية، لواجدنا أن لكل منها منظومة مفاهيمية، وما يقابلها من المصطلحات، فإذا كانت الأصول (**Paradigmes**) المنهجية لإنتاج المعرفة واحدة، فإن التغيرات التي عرفتها العلوم الإنسانية، خلال مراحل تطورها، لا تشير فقط إلى حدوث قفزات علمية في أدوات المعرفة، بل أنها تعكس أيضا تغيرات نوعية في البيئة التي يحدث فيها البحث العلمي (كون **KHUN 1970**) .

2- إن الثروة المصطلحية في كل لغة، هي مرحلة تالية لازدهار البحث العلمي، وليست سابقة له، ولا شك أن معظم الإنتاج العلمي في علوم الدقّة والتقانة وعلوم الإنسان، يحدث خارج منطقتنا حيث

يتسابق التنظير (**Theorisation**) مع التطبيق.

يكفي لإدراك حجم التراكم المعرفي في فرع واحد من علوم الإنسان؛ القيام بجرد أولي لسنة واحدة ممّا تنشره الدوريات والحوليات الأكاديمية والجامعية، من ملخصات تعج بالمفاهيم والمصطلحات الجديدة، وما يعرف بالكلمات الفنية(**mots clés Key-Words,**) الخاصة بكل مبحث داخل التخصص الواحد. ساعد ذلك الإنتاج العلمي الغزير على إبراز حقيقتين :

أولهما : أن علوم الإنسان والمجتمع، لم ترد مجرد ضيف يستأجر غرفة صغيرة في "حوش" العائلة المعرفية الكبيرة، فقد انتهى منذ زمن بعيد تصنيف العلوم إلى نفيسة وخميسة، فهي تتبادل المناهج والمفاهيم والمصطلحات، وأصبح أي ابتكار في ميدان من عالم الوجود (الأنطولوجيا)، أو عالم المعرفة (الإبستمولوجيا)، يتطلب تظافر جهود عدد من المختصين في علوم مختلفة، وكثيرا ما تحدث الاكتشافات الهامة، في نقاط

التقاطع بين عدة علوم طبيعية وإنسانية، كما هو الحال في اللسانيات، والعلوم السلوكية، والاقتصاد، والكيمياء الحيوية إلخ.....

(R.P Monge : quartly vol .25,N , 1977)

ثانيهما: إن التقدم العلمي عملية كلية ومترابطة، قد يأخذ فرع من المعرفة موقع القاطرة في فترة معينة، وقد يكون محركها النفاث، كما نلاحظ اليوم في المعلوماتية والهندسة الوراثية والاقتصاد، ولكن المعرفة نابعة من أقيانوس واحد، يستفيد كل فرع منها، مما حققه جيرانه من ثروة، في المفاهيم والمناهج والمصطلحات.

3- تشترك العلوم في أصول معرفية واحدة، إلا أن علوم الإنسان والمجتمع لا ترقى من ناحية ثبات ظواهرها ويقينية نتائجها، إلى مرتبة علوم الدقة والعلوم الطبيعية، ولذلك فإن الاهتمام بالتعريفات الإجرائية للمفاهيم، وما يقابلها من مصطلحات، مسألة على درجة كبيرة من الأهمية، فإذا كانت الألفاظ « حصون المعاني » فيما يتداوله الناس من خطابات عادية، فإن اختيار تلك الألفاظ وتحديد حقلها الدلالي، هو

حجر الأساس في بناء العلم الاجتماعي، ولا تقتصر فائدته على العلماء وحدهم، بل يفيد المتعلمين، ويغذي الثقافة العامة للجمهور.

غير أن تقنين المصطلحات، والاجتهاد في وضع كلمات عربية، أو معربة بدل المفردات الأجنبية، المهيمنة على لغة العلم بوجه عام، (ولا يستثني من ذلك الآداب وعلوم الإنسان) يبقى مطلبا عسير المنال، بسبب عدد من الصعوبات العملية نذكر منها :

1- يتكون المفهوم عبر ثلاث عمليات ذهنية معقدة، هي التعميم والتخصيص والتجريد، ويبقى في حالة. فكرة حتى يجد طريقه إلى شكل من أشكال التعبير اللغوي أو الرمزي، وبما أنه حاصل خبرة معرفية مكثفة، فإن مفردات اللّغة قد لا تستوعب أحيانا ما هو جوهري من المعاني والأفكار، فهي لا تحيط به كما يقال إحاطة السوار بالمعصم، إن الألفاظ قد تدل على معنيين أو أكثر، واحد منها هو الذي يريد الباحث إيصاله إلى المتلقي، ولكنه لا يستطيع أن يحيد ذاكرته الخبروية ويمنه المعاني الأخرى من التوارد في خاطرة، ولذلك فإن أهم ما يرسخ المصطلح بعد توليده، واختراعه هي إشاعة استعماله وتقبله من طرف المختصين في نفس المجال.

(د. حنفي بن عيسى **1987**، د. حامد عمار **1958**)

وقد أشار أبو سعيد الصيرافي (ت **386** ه) إلى هذه المسألة الهامة بعبارات تقترب من علم اللسانيات والمعجمية المعاصرة فهو يقول:

" بدا لنا مركب اللفظ لا يجوز مبسوط العقل، والمعاني معقولة ولها اتصال شديد وبسطة تامة، وليس في قوة اللفظ من أيّة لغة مان، أن يملك ذلك المبسوط ويحيط به وينصب عليه سورا، ولا يدع شيئا من داخله، وشيئا من خارجه أن يدخل" (التوحيدي **1939**).

وفي انتظار حوسبة اللّغة العربية، وإحصاء الحقول الدلالية للمفاهيم والمصطلحات، فإن الإشكالية التي أثارها أبوسعيد الصرافي، مند أكثر من ألف عام قائمة إلى اليوم.

2- يستمد الفكر العربي رصيده من المصطلحات العلمية في مجالات المعرفة بوجه عام، والاجتماعية بوجه خاص، من طريقين، أولهما داخلي ويتمثل أساسا في

التوليد الدلالي بواسطة الاشتقاق والقياس ولكن الصعوبة لا تكمن في إيجاد المقابلات المصطلحية للمفاهيم المستجدة، بل في نقص، البحث الأساسي والاعتقاد الساذج بأن التطبيق هو الأهم ولا حاجة إلى التنظير الذي تولاه كبار اسماء الغربيون ومدارسهم بالنيابة عنا، ولذلك فإنه على الرغم من محاولات التأصيل أو إعادة التأسيس لأنساق ونظريات العلوم الاجتماعية، فإن قسمها الحديث بقي غريب المنشأ ومرتبطا بقضايا واشكاليات تخص مجتمعات مغايرة.

إن توطين تلك العلوم يتطلب البداية بصياغة فكر معرفي جديد، يقوم على تقييم ونقد الأطر المفهومية ومناهج البحث، وتكييف ادواتها لبيئتها الخاصة، وحاجاتنا الراهنة، ومشاريعنا المستقبلية، ومن الضروري أن تتزامن هذه العملية التأصيلية مع جهد يقع في صميمها، وهو اختراع المصطلحات، ووضع المعاجم التقنية المتخصصة، وتطوير الدراسات المعمقة في حقول فقه اللّغة واللسانيات.

يتمثل الطريق الثاني في التعريب، والمقصود به هنا هو نقل العلوم إلى العربية، في مقابل التعجيم، أي النقل من العربية إلى لغات أخرى؛ ولهذا التوضيح أهميته في مغربنا العربي والجزائر بوجه خاص، فكثيرا ما تتجاوز هذه المسألة موضوعها العلمي والعملي

وتنغمس في جدل ايديولوجي أضاف مصطلحات جديدة لقاموس الإعلاميين والتراجمة مثل الاستقرار(من قاوري أورومي والفرنسي بوجه خاص)، والاستعجام، والتأصل والتنصل والتثاقف والانسلاخ ...إلخ ٠ (د. حذغي بن عيسى **1987**).

III –اللّغة أداة لإنتاج المعرفة وموضوع لها:

بعيدا عن هذه المساجلات الايديولوجية، والعاطفية التي يرى فيها البعض، أن اللّغة مؤسسة منفصلة عن المجتمع، ينبغي أن تكون متقدمة في مجتمع متخلف، وينسى فيها البعض الآخر بأن – زيادة الألسنة تزيد من إنسانية الإنسان. (يوسف الحاج (؟))، أقول بعيدا عن تلك المساجلات، فإنه من الأجدى التعامل مع اللّغة باعتبارها أداة لإنتاج المعرفة وموضوعا لها في نفس الوقت، وتتضح هذه القضية على ضوء الملاحظات التالية :

–لا توجد لغة علمية كاملة ونهائية، في أي فرع من فروع المعرفة، فهي تتزود بالمفردات، وتعابير اللّغة الوسيطة من وتيرة الإنتاج العلمي، والترجمة، والأخيرة مصدر

لا يستهان به، فهي منذ أمد بعيد مورد نشيط للمفاهيم والمصطلحات في البلدان المتقدمة، حيث يترجم الإنتاج الفكري والعلمي والأدبي، بعد فترة وجيزة من نشره في لغته الأصلية، كما هو الحال في غرب أروبا، والولايات المتحدة واليابان، ولعل ثراء اللّغة الإنكليزية، في التعابير والمصطلحات، يرجع جانب منه إلى قيام الباحثين (غير الناطقين بالإنكليزية) بوضع خلاصات لأبحاثهم باللّغة الإنكليزية، ونشرها في الدوريات المتخصصة، للتعريف بإنتاجهم واكتساب المكانة والشهرة .

2-تتوقف دقة المصطلح العربي الموضوع أو المترجم، على ضبط حلقه الدلالى، واقتصار اللفظ على المفهوم، أي تحاشي استخدام نفس الكلمة للتعبير عن مصطلحات أخرى في نفس المجال المعرفي، أو في مجالات أخرى، مما سب للدارس و الباحث الغموض و الارتباك،

ولا شك أن الطريقة المثلى هي اختراع مصطلح واحد مقابل مفهوم واحد.

وتساعد الحوسبة على جرد الحقول الدلالية والمفاهيم المتداولة؛ ووضع مصفوفات للمفردات، وتصنيفها من حيث المعنى والمبني في اللّغة العربية واللغات الأخرى التي ينقل منها المصطلح، فضلا عن إمكانية برمجة الأوزان، والجذور،

والاشتقاقات الصرفية، واختيار أنسبها للمفهوم، وتحقق هذه الآلية اقتصادا كبيرا في الوقت والجهد، وتسمح بالإسراع في تكوين رصيد مصطلحي يمكن أن يتحول بالتدريج إلى مسارد معلوماتية، وبنك للمعطيات، يسهل وضع المعاجم اللغوية العامة، والتقنية المختصة.

3- نظرا للعلاقة الوثيقة بين علوم الإنسان وفنون الإبداع الفني والأدبي فإنه من المفيد الاتفاق على مصطلحاتها المشتركة، سواء كانت موضوعة أصلا بالعربية أو معربة، وقد أقر هذا المطلب مجمع اللّغة العربية بالقاهرة في دورته الخامسة والأربعين.

ولا شك أن العملة المصطلحية المشتركة، تساعد على توحيد اللّغة العلمية العربية عند الباحثين والدارسين والتراجمة الذين ينقلون من لغات أخرى، إلى العربية ما يصدر من أبحاث. ودراسات في العلوم الإنسانية، والآداب والفنون.

والملاحظ اليوم أن المعاجم المختصة، القليلة نسبيا التي صدرت في فروع المعرفة الإنسانية والأدبية والغنية ونظيراتها المترجمة، تقترح وتستعمل مصطلحات متباينة، مما يجعل حقول المعرفة العلمية والأدبية أشبه بسوق تستعمل أنواعا كثيرة من العملة، لها قيمة لا يعرفها إلا صاحبها.

4-على الرغم من تزايد الترميز والتكييم (quantification) في مختلف فروع المعرفة، واختزال المصطلحات المركبة في حروفها الأولى لتسهيل الانتشار والاستعمال، فإن اللّغة تبقى الناقل الأول للمعرفة، وخاصة في الآداب وعلوم الإنسان التي تطلب أكثر من غيرها تحكما في آليات اللّغة بوجه عام، واللّغة الوسيطة بوجه خاص، وهذه الأخيرة عبارة عن مجموعة متناسقة من مفاهيم والمصطلحات، تكون اللّغة الخاصة بفرع معين من المعرفة، ولكي تصبح الكلمة أو العبارة مصطلحا، ينبغي أن تتوفر فيها شروط من أهمها:

أ – أن تكون موضوعة في مقابل معنى أو مفهوم خاص، ليس هو المعنى اللغوي المتداول في الاستعمال العادي، وإلا أصبحت مفردة لغوية، لا علاقة لها بالمفهوم المراد تسميته .

ب- أن يشيع استعمالها بين أهل الاختصاص، وإلا فقدت دلالتها و فائدتها الاصطلاحية، ولذلك فإنّ صنع كلمة، أو اقتراح مقابل المصطلح الأجنبي، يبقى مجرد

مشروع مصطلح، حتى تصادق عليه الهيئات المختصة في مجامع اللّغة والأكاديميات ، ويتداوله أصحاب الاختصاص.

ج— إن اقتراح مصطلح، يعني إضافة فكرة أو مفهوم جديد، واللّغة وسيلة لذلك، وليست هدفا في حد ذاته، ولذلك ينبغي أن تتم صياغة المصطلح بعد دراسة وافية للمسارد المصطلحية الخاصة بعلم معين، وتشاور مع أهل الاختصاص، ليكون المصطلح الوليد منسجما مع النسق المفهومي للعلم، ومعبرا بدقه عن منطقة الداخلي.

لقد بذل علماؤنا جهودا كبيرة في الجامعات ومجامع اللّغة العربية ومؤسسات البحث، كما ساهمت الجامعة العربية عن طريق منظمتها للتربية والثقافة والعلوم ومكتبها النشيط لتنسيق التعريب في الرباط، والمعاهد المختصة في المصطلحات والتقييس، ساهمت كلها في إثراء لغتنا الجميلة بالكلمات الفنية، وحل بعض المعضلات التي تواجه الباحثين والدراسين، في العلوم الدقيقة والتجريبية و الآداب و علوم الإنسان،

حققت تلك الجهود إذا نظرنا إليها مجتمعة، وخلال ما يزيد على نصف قرن إنتاجا معجميا لا بأس به، إذا قيمناه على ضوء الظروف الصعبة التي تجتازها أمتنا، في

كل أقطارها، وإصرار الدول المتقدمة في الغرب والشرق السابق، على احتكار العلم والخبرة والتقانة، واعتبار ذلك جزءا من أسرارها الأمنية، وضمانة لتفوقها الدائم.

أسفرت تلك الجهود على وضع ما يزيد على **150** عملا معجميا، في شتى فروع المعرفة، حظي الطب والأحياء والقانون وعلوم الطبيعية والكيمياء فيها، بالنصيب الأوفر، ولا توجد سوى مدونات قليلة للمصطلح في الآداب وعلوم الإنسان، موجهة في أغلب الأحيان، لمراحل التعليم الثانوي العام والفني، والقليل منها مخصص للطلبة الجامعيين.

اللّغة من رموز السيادة الوطنية وتجسيد للإرادة السياسية: لا شك أيها السادة العلماء أن كل واحد منا يطل على حديقة لغتنا الغناء، من نافذة اختصاصه، وأن الحديقة الزاخرة بما لذ وطاب، ننسع للجميع، وهي ضمأى، تنتظر فيضا من الإبداع والابتكار، يمسح عنها آثار القرون العجاف، ويعيد للعربية ما وصلت إليه من علمية وعالية، لا ينكر المنصفون في الغرب أنها ساعدت أوربا النهضة على دخول عصر الأنوار.

إن الثروة المصطلحية في مجال العلوم والفنون والتقانة هي أشبه باحتياطي الخزينة العمومية من العملة الصعبة، فهي فضلا عن كونها من مقومات سيادة الأمة وهيبتها ومصداقيتها، تكشف أيضا عن عبقرية علمائها ومدى إسهامهم في تقدم الإنسانية، وتؤهلهم لتقديم القروض المصطلحية إلى غيرهم ، والاقتراض منهم بلا عقد ولا تعقيد، أي بدون انبهار يؤدي إلى تحقير الذات **autodevalorisation**، أو انكفاء يدفع إلى العزلة القاتلة.

استعرنا هذا التشبيه من عالم المال والأعمال، البعيد عنا، للتأكيد أولا على أهمية الرهان الذي ينبغي أن تخوضه أمتنا بدون تردد ولا تأجيل، وللتذكير ثانيا بأن مدح لغتنا والتغني بتراثها —العريق.

لا يكفي ولا يعفي أهل الذكر والفكر، وكل الساسة في بلداننا، من وضع مخططات واقعية وطموحة، للنهضة بالعلوم والفنون والآداب، إن لغتنا العربية هي في البداية وإلى الأبد، خزان تراثنا المشترك والرابطة التي تجمع شعوبنا، وتنتسب إليها دولنا مشرقا ومغربا، وبجملة واحدة: العربية هي نحن، ضعفا ومهانة، وقوة ومهابة، هي مرآة ما نحققه من تقدم وازدهار، أو ما نكون عليه من تدهور وانكسار.

يمكن أن ترتكز تلك المخططات على منظور مشترك بعيد المدى، فإذا كانت السياسة تعني المهارة والحنكة، وامتزاج التجربة بالخبرة، فإن العلماء أيضا في مجالاتهم ساسة، ينبغي أن، تتظافر جهودهم في مثل هذه المؤسسات الموقرة التي تلتقي اليوم تحت لواء اتحاد المجامع العربية، وفي الجامعات ومراكز البحث التي هي بمثابة بحار بأسماء مختلفة، ولكنها تصب في محيط واحد هو اللّغة وفقها وعلومها، وعلى الخصوص العلوم التي تستخدم العربية في البحوث الأساسية (**Recherche fondamentale**) والتطبيقية.

من الواضح أن إشكالية وضع المصطلح لا تقتصر على اللّغة العربية بل هي فيها أقل مما في غيرها من شجرتها السامية الحامية وحتى في المائتي لغة علمية (**200**) المتعارفة في العالم (سالم العلي **1994**) بسبب قدرتها الفائقة على الاشتقاق، على العكس من اللغات الهند وأوربية التي تلجأ إلى التركيب.

وقد بدأ ابن جني (توفي سنة **392** ه **1002** م) في كتابه الخصائص تقعيد هذا المبحث الهام قبل حوالي ألف عام وعرف باسم " اشتقاق الأكبر" (ابن جني **1325**. ط مصر).

إن إشكالية المصطلح العلمي لا ترجع إلى مدى مطاوعة اللّغة العربية، وقدرتها على تسمية الأشياء، وضبط المفاهيم فيما يعرف بالمفردات النمطية الموحدة (Lexical typology)، إن الأمر يتعلق بواقعنا المعرفي الراهن، فمن المعروف أن حصيلة الإنتاج العلمي، في وطننا العربي بما فيه براءات الاختراع التقني، ضئيلة جدا حتى مقارنة ببلدان خرجت لتوها من عهود التخلف والاستعمار، وتحررت حوالي قبل نصف قرن، أو أقل من الهيمنة الكولونيالية، مثل الهند والصين وكوريا وفيتنام، وكوبا المحاصرة منذ أربعة عقود من طرف العام سام، جارها المستبد .

إذا اعتمدنا مدخل مكاشفة الذات، فإننا سنرى أن لنا موقعا صغيرا جدا، حتى مقارنة بعدد من بلدان العالم النامي الذي ننتمي إليه، ولا يعني ذلك – كما سنبين فيما بعد— الاستهانة بمؤهلات أمتنا، وقدرتها التي تمر بمرحلة كمون، أو تبرير الركون إلى جلد الذات ورثائها، وقبول الصغار والمسكنة.

يمنعنا الخجل من عقد أية مقارنة أو ترجمتها إلى جداول بالنسبة المئوية، وأقول فقط بأنه ليس لنا أن نشتكي من اللّغة وقواعدها، قبل أن نعترف أيضا بأن من حق اللّغة أن تشتكي منا وتحتج على ما لحقها من تهميش وفقر وجمود، كانا السبب فيما

تعانيه من قصور في ميادين كثيرة من المعرفة، وتضاءل منزلتها في عقر دارها بدون رقيب أو نصير.

ليس الهدف من المقولة السابقة، البحث عن متهّم، أو تبادل اللعان إن الهدف الأول والأخير، هو دعوة نخبنا المفكرة والقيادية، لاستعادة الثقة بالنفس، بلا غرور ولا تغرير، والتكاتف لكسر طوق الانكسار والهزيمة المعنوية، ومن علاماتها التي لا تخطئ فتور الهمة، وإضعاف رصيد الأمة، والرضى بموقع صغير في ذيل قافلة العصر، وحسب إنذارات العولمة ومستجدات القرن **21**، فإنه لن يكون للعجزة والمعوقين من أهل الذيل، أي موقع ولا مستقبل على الإطلاق.

استعاده الثقة بالنفس تعني، الانتقال من واقعية الحضيض الانهزامية إلى الواقعية الطموحة التي تقرن الحزم بالعزم، وتجسد القائمة الطويلة من التنميات المتداولة شعرا وخطبا، وتمنع نخبنا من الاسترخاء والاتكال على الاستهلاك الذهني، وتضييع الوقت في رثاءات والغفلة عمّا نحن فيه من ضعف وتبعية.

وقد وصف ابن حزم الأندلسي (توفي سنة **456** م) هذه الوضعية بدقة، ولعله كان يصف حالة القوط (الاسبان والفرنجة بوجه عام) في القرن الحادي عشر م. لا د ي ، يقول في كتابه الهام " الإحكام في أصول الأحكام":

" إن اللّغة يسقط أكثرها ويبطل، بسقوط دولة أهلها، ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم. أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم، فإنما يفيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم"، وأما من تلفت دولتهم، وغلب عليهم عدوهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذّل، وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخواطر، وربما كان ذلك سببا لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم وبيود علومهم، هذا موجود بالشهادة، ومعلوم بالعقل ضرورة".

وقد عبر عن هذه الحقيقة شاعر حكيم بقوله:

تعوي الذئاب على من لا كلاب له: وتتقى صولة المستأسد الضاري لا أدري هل تجد السطور السابقة مكانا في انشغالات السادة العلماء والخبراء؟ ولكني على يقين لا يشوبه ظن ولا تخمين، بأن معالجة مسألة المصطلح، سواء أكانت بالتعريب أو الترجمة أو الاشتقاق، لا بد أن تبدأ بتشخيص صارم ودقيق، لما قطعته هذه العملية الشاقة

والنبيلة من أشواط في الماضي القريب والبعيد، وذلك عن طريق التقييم المرحلي؛ والمقارنة بما أنجز في عيون التراث العلمي العربي والإسلامي، وما يجري حولنا في عالم تتلاحق فيه الاكتشافات وتتسابق التطبيقات بسرعة مذهلة، عولمت كل ما يصدر عن بلدان المركز، وأوصلتها إلى كل أرجاء المعمورة التي أصبحت كما يقال قرية كونية صغيرة يصح فيها المثل الشعبي الجزائري " اعمل مثل جارك وإلا حول باب دارك".

إن المصطلحات العلمية ليست مجرد كلمات، أو تراكيب تخزن في القواميس المختصة، أو ملاحق البحوث، وتصنف منها الموسوعات، بل هي كما أشرت فيما سبق، العملة الصعبة في بنوك العلوم والمعطيات لكل علم فيها " حساب جاري " ينبغي تغذيته باستمرار هن المخابر ومراكز البحث.

5 — علمية اللّغة العربية وعالميتها

بعد هذه التوضيحات السريعة، نجمل الان وجهة نظرنا المتواضعة في صورة ملاحظات واقتراحات وذلك على النحو التالي :

1- إذا كان الواقع المعرفي في منطقتنا العربية والإسلامية، يعاني حاليا من فجوة التخلف، ولا يحتل مكانه الطبيعي في موكب المقدمة، فإن ذلك ليس مصيره النهائي، ولا قدره المحتوم، فالمعرفة الإنسانية في أية نقطة وصلت إليها، هي متصل (**Continuum**) يتوالى فيه صعود الأمم وهبوطها، فهي أشبه بأمواج البحر، لا تتحرك موجة إلا بدفع من التي سبقتها.

إن كل نقطة في المتصل المعرفي، هي نتيجة لتراكم الخبرات والمعارف بالإنسان والطبيعة والعلاقات بينهما، وبالتالي فإن العلوم والفنون والآدب، ليست حكرا على زمان أو مكان واحد، ولا يتفرد بها أي عرق من الأعراق، وعلى هذا ينبغي تقييم منجزات الحضارات القديمة التي كان معظمها في الشرق، ولا يعني ذلك بالطبع أمتيازا عرقيا أو جغرافيا، فمن الناحية الديموغرافية كانت أغلبية من البشرية متواجدة هناك.

2- من الإنصاف أن نذكر بأن جزءا من معاناتنا الراهنة يرجع إلى ما تعرضت له ذخائر الحضارة العربية والإسلامية من نهب وتدمير، على يد جحافل متوحشة من الصليبين الذين شوهوا المسيحية السمحاء، والتتار والمغول المعادين للحضارة والعمران، وقد أجهزت الكولونيالية الإجرامية في القرنين الماضيين، على ما أفلت من نفائس

المخطوطات، فنحن من الأمم القليلة التي تطلع وتدرس تراثها الثقافي، والعلمي منه، بوجه خاص، في خزائن الأسكوريال وليدن ومدريد وباريس ولندن...، وحتى في الولايات المتحدة التي ظهرت للوجود منذ ما لا يزيد على قرنين من الزمان.

3 –ساعد النهب والقرصنة عددا من علماء الغرب، وبعض أساطين الاستشراق على الترويج لنظرية «الفراغ» العلمي في المنطقة، وعدم قابلية العقلية (**Mentalité**) " الشرقية " للعقلانية، وعجزها عن صياغة العلاقات بين الجزئيات في قوانين كلية، ومن الواضح أن هذا الفراغ المزعوم ليس مؤسسا من الناحية العلمية، ولا يتطلب دحضه سوى التنبيه إلى أنه لا علم بلا أخلاقية (**Epistéméthyque**).

4—لقد ظُلم العرب والمسلمون مرتين: ظلم عن طريق النهب والتدمير، وظلم بإنكار أو تجاهل مساهمتهم في التراث الإنساني، حتى توهم البعض، أنه من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، تدريس العلوم الأداتية، مثل الرياضيات والحاسوب باللّغة العربية، فضلا عن العلوم التجريبية، مثل الفيزياء والكيمياء والأحياء وفروعهما، قد أدى ذلك إلى ندرة استعمالها في البحوث المتخصصة، داخل الجامعات ومراكز البحث في العلوم والتقنيات، في كثير من أقطار الوطن العربي.

– إن وضع المصطلحات عن طريق التعريب، أو النقل أو الترجمة في العلوم الدقيقة والتجريبية، أسهل من وضعها والاتفاق عليها في العلوم الاجتماعية والإنسانية التي تستخدم الرياضيات، والمناهج التجريبية والمخابر، ولكنها تتطلب في كل اللغات، امتلاكا وتحكما أكبر في الرصيد اللغوي، واطلاعا أعمق على علوم الدلالة والسياق، فضلا عن الإلمام بقواعد اللّغة والبيان.

–إن سهولة وضع المصطلح العلمي وتعميمه، وعدم حاجة العلماء إلى تحميل لغوي وفير، لا يعني إعفاء الطلاب المتخصصين والباحثين، من إتقان اللّغة، فقد شاع عندنا مشرقا ومغربا، أن إتقان اللّغة واحترام بنيتها وجماليتها هو من الحذلقة، أو البلاغة الكمالية. وهي من اختصاص الأدباء والخطباء والشعراء، وهذا بالطبع غير صحيح، فدقة التعبير وسلامة التبليغ مطلوبة من الجميع، وهذا ما نلاحظه في كل البلدان غير التابعة ثقافيا، حيث يتباهى ويتأنق الساسة والإداريون حتى في خطاباتهم اليومية والمكتبية.

إن أعظم العلماء في القديم والحديث، كانوا من النابغين في اختصاصاتهم التي أغنوا من خلالها لغاتهم، وتوجوا أعمالهم بمؤلفات نفيسة، في الفلسفة والأدب وقصص

الخيال العلمي، وقد ساهموا عن طريق وسائل الاتصال السمعي والبصري والمقروء فيما نسميه تعميم الفصحى، وتفصيح العامية، أي التثقيف العام وإثراء رصيد المجتمع من المصطلحات والأفكار، وقد كان العلماء العرب من السباقين إلى نظم المتون والأراجيز، في مختلف العلوم والفنون والآداب، ولأسلافنا في المغرب العربي باع وأيّ باع.

7-تتوفر اللّغة العربية على الشروط الأساسية لعملية اللّغة وعالميتها، وهي:

أ- العمق التاريخي الجغرافي، فهي من أقدم اللغات المكتوبة والمنطوقة منذ مئات السنين، في قسم كبير من آسيا وإفريقيا، وعن طريق الإسلام (القرآن) في القارات الخمس، كما أنها بقيت على العموم هي نفس اللّغة التي كتبت بها العلوم المقدمة (Siences de Pointe) ، حتى القرن السابع الهجري (الرابع ميلادي)، فلم تمنع الفتن، والتفكك السياسي، والعدوان الخارجي، من ازدهار العلوم والفنون في المغرب والمشرق الإسلامي.

ب- استقلالية اللّغة العربية من ناحية اللسان، (Langue) والكلام (Parole) سواء نظرنا إليها على ضوء علم النص، أو علم اللّغة الاجتماعي، أو

قارناها بلغات أخرى من شجرتها اللغوية (**Arbre linguistique**) أو خارج تلك الشجرة (علم اللّغة التقابلي أو المقارن).

ففد استمدت الكثير من مفرداتها من لغات أخرى، شل العبرية و الفارسة والهندية كما استعانت بها نفس تلك اللغات، وخاصة في لغة العلم والفلسفة والفقه وأصوله، وامتزجت بها كما هو الحال في الفارسية، والتركية، والمالطية، ولكنها حافظت لأمد طويل على خصائصها، وثرائها الكبير في الاشتقاق والمترادفات حتى قال (أدم ميتيز) أن العرب اهتموا كثيرا بالنثر « وفاقوا في ذلك جميع الشعوب» (آدم ميتز، ترجمة: أبو ريده، ط-ج-**1**-**1967**).

ج- التنميط أو القابلية للتعبير (**Normalisation**) ،أي اختيار مفردات معينة، بسبب تواترها، وملاءمتها للمفهوم المراد تعريفه، لما فيه من خصائص تقرب الدال من المدلول.

لم يهتم اللغويون العرب في القديم، بقضايا التنميط في المصطلح العلمي، لأنهم كانوا كما أشرنا ينتجون العلم، بما فيه فقه اللّغة، والمعاجم التي وصلت أوجها في نهاية القرن الرابع الهجري، على يد علماء من أعلى طراز، مثل ابن فارس (**395**.)، و

حمزة الأصفهاني (**350**)، و الحسن العسكري (**395**) و الجوهري (**392**.)إلخ....

والملاحظ أن وفرة النشاط العلمي، وتعدد المدارس والاجتهادات في وضع المفاهيم، تقلل من مصاعب التنميط في اللّغة الواحدة، كما حدث أثناء ازدهار الحضارة العربية في الفلسفة مثلا، حيث لا نجد سوى القليل هن الخلافات في المصطلح، ما بين الكندي و ابن رشد و يفصل بينهما زمن طويل، وكما نلاحظ اليوم في البلاد الأنغلوسكسونية، (بريطانيا—الولايات المتحدة –كندا—أستراليا)، حيث يتبنى كل واحد منها بسرعة، المصطلح الذي يطلق على اختراع أو ابتكار يسبق إليه أي بلد منها .

8–وصفنا اللّغة العربية بالمطاوعة والمرونة التي تشاركها فيها كل اللغات السامية بما فيها الأمازيغية المتداولة في شمال غرب إفريقيا، (وخاصة الجزائر والمغرب) ، غير أن العربية تتميز باستمرارية تاريخية، وعمق حضاري زاخر وثراء قل نظيره في عائلتها اللغوية، وقد أوصلها القرآن الكريم إلى أعلى درجات البيان والإتقان، وهو الإعجاز.

9-إن ثراء اللّغة العربية وتمتعها بالمطاوعة والاشتقاق، لا تقلل من المصاعب الموضوعية التي يعاني منها الخبراء والباحثون، في كل حقول المعرفة العلمية لأسباب كثيرة:

أولها : الفجوة المهولة بيننا وبين ركب المقدمة الذي يدفع يوميا، بآلاف المصطلحات والرموز والتراكيب التي تفرض نفسها على المجتمع العلمي، وحتى على المجتمع بمعناه الواسع، ويضطر علماؤنا إلى التعامل معها، وملاحقتها قبل الاهتمام بنقلها معربة، أو مترجمة إلى العربية.

ثانيها : إن العلوم كلها قد اتجهت منذ بداية القرن العشرين، إلى استخدام الرموز والإشارات الحرفية والرقمية، وأصبح الاختزال لغة اصطناعية يتعامل بها الناس، ابتداء بإشارات المرور حتى مخابر الفضاء والهندسة الوراثية، فعندما يرى الرياضي حرف (**N**) يفهم معناه، ولا يحتاج إلى جملة كاملة تقول له إنه مجموعة الأعداد الطبيعية، وعندما يضاف إليه (**0**) أو صفر (.**N°**)، فإنه يعرف أنها جملة أخرى، تعني مجموعة الأعداد الطبيعية مع الصفر... ، وقس على ذلك الاختزال في كل علوم الطبيعة والمجتمع

حيث تجمع حروف عدة كلمات لتصبح كلمة واحدة لها مدلول متفق عليه بين أهل الصنعة.

بعد هذه اللمحة المتعلقة ببعض إشكاليات علمية اللّغة العربية، فإنني أتقدم بالمقترحات العامة التالية:

1 – إن إثراء لغتنا الجميلة بالابتكارات المصطلحية، ليس مسألة تقنية بحتة، إذ لا بد أن تتوفر الإرادة السياسية بتجسيد المبدأ الوارد في دساتيرنا، ومؤداه أن العربية هي اللّغة الوطنية والرسمية، وبالتالي تحشد الجهود والإمكانيات، وتوظف وفق منظور منسق، وبعيد المدى، بإشراك الكفاءات العربية المتواجدة داخل أوطاننا وخارجها، فقد أثبت تفوق علمائنا في الجامعات و مراكز البحث الأوربية والأمريكية، أن العقل العربي لا يقل عبقرية عن غيره، فالعجز والقصور الحالي راجع في كثير من علله إلى « المناخ العام» ، وضعف الإرادة السياسية، وتطاول جماعات من بقايا المخازنية، و رقيق الكولونيالية على مكاسب حركة التحرر الوطني باسم حداثة قشرية، جماعات ليس لها من مواصفات النخبة سوى استخلاف الجاليات الكولونيالية السابقة، وحراسة تركتها المتعفنة فضلا عف البطر والاستعلاء، (من الملاحظ أن تلك الجماعات تريد

التميز عن جمهرة الناس من مواطنيها اللذين تضعهم وسائل الإعلام الأروالأمريكي، تحت اسم المسلمين أو العرب وتلحق بهم كثيرا من الصفات المنفرة)

2- ينبغي أن يتجه العمل المشترك والتنسيق بين المجامع إلى التوحيد، فاللّغة الواحدة لها مجمع واحد، وله مجامع قطرية، أو مراكز جهوية تخدم سياسة واحدة لترقية اللّغة العربية، ومن الواضح أن سياسة اللّغة لا تعني الضياع في المجادلات " الكلامولوجية " في تعبير الأستاذ المرحوم محمد عزيز لحبابي .

3- انطلاقا من أهمية العمل المشترك، فإنه بالإمكان أن يصبح الاتحاد أشبه بالبرلمان اللغوي الذي يعمل وفق قواعد الديموقراطية، و يسهر على تشجيع الاجتهاد، و يحتضن الإنتاج العلمي الراقي، والمتخصص، فمن المعروف أن كثيرا من دور النشر لا تعنى بطبع ونشر الأعمال الأكاديمية غير الموجهة إلى الجمهور الواسع، وهذا شأن التجارة التي تسبق مبدأ الربح والخسارة، ولذلك فإن تمويل مثل هذه الأعمال، ينبغي أن تكون من ميزانيات المجامع، وبالأساس على كاهل الدولة التي من مسؤولياتها رعاية العلماء، قبل حساب تكاليف الإنتاج والبيع والشراء .

4 – هناك في مسألة المصطلح واللفظ الأعجمي بوجه عام، اتجاهان يتقاسمان الرأي العام الثقافي : يرى الأول أن لا بأس من استعمال المصطلحات والكلمات كما هي في لغتها الأصلية ولا داعي للترجمة أو التعريب، بل يذهب المنشطون في هذا الرأي إلى تعويض العربية بلغة حية أو أكثر (الإنكليزية في المشرق الفرنسية في المغرب)، وتدور في هذا الشأن مجادلات ساخنة، وأحيانا إنفعالية، ومن الواضح أن من دوافع هذا الرأي الكسل العقلي، والاهتمام بشكل الحداثة والعصرنة، وليس بمضامينها ومناهجها، وكذلك الاعتقاد الخاطئ بأن اللّغة التي ننطق بها هي المتخلفة، وليس المرحلة التاريخية التي تعبرها المنطقة وأهلها ، فضلا عن عدم إدراك البعض أن اللّغة العربية، هي لغة موحدة وليست " أحادية " ، أي ترفض التعايش والتعاون والإثراء المتبادل مع اللغات الأخرى، فلا يقول إلا غافل أو مستغفل: لغة الضاد ولا لغة غيرها في العالم في عصر الأقمار الصناعية وقواعد وشبكات الاتصال العابرة للقارات.

أما الرأي الثاني فهو يتصور، أن الدفاع عن العربية يتطلب التشدد والتزمت، ورفض ما لم يرد في كتب التراث من مصطلحات وكلمات، لا شك أن في هذا الموقف غيرة على العربية، وتمسك بما يسمى طهارتها ونقاءها، ولكننا نعرف أن من "

الحبّ ما قتل "، فلا توجد في العالم لغة ليس فيها مفردات، ومصطلحات دخيلة بسبب الاحتكاك المباشر، وظاهرة التثاقف (Acculturation)، بل إن أسماء آليات ومرافق أخضعت لنطق تلك اللغات وتركيبها، وأذكر أن أحد القرويين في سهل المتيجة وسط الجزائر قال لي، (Allumette) ، وأنه من السهل عليه نطقها بحكم العادة.

5- من الناحية العملية البحتة، من المفيد أن يستعجل الاتحاد والمجامع التي يضمها، ترجمة القائمة الطويلة، من الأبحاث والأطروحات التي كتبها الباحثون العرب بلغات أخرى في كثير من بلدان العالم، ونحن نقترح أن يلتزم أعضاء البعثات إلى الخارج، بترجمة أعمالهم، بعد أقل من خمس سنوات من تقديمها، وأن توكل ترجمة البحوث التي أنجزها العلماء العرب في الخارج، إذا صعب عليهم هم القيام بذلك، (ولكن بترخيص وتعاون معهم) إلى لجان متخصصة في نفس مجال البحث، وأن يتسع ذلك إلى ملاحقة منجزات البحث العلمي الذي قام به العلماء في كل القارات، إنه بلا ريب عمل مرهق، مكلف وعسير، ولكن هكذا بدأ أجدادنا مسيرتهم العلمية الباهرة، وأبدعوا أثارهم الخالدة.

6- من الناحية العلمية أيضا، هناك مسألة شغلت بالنا منذ مدة، عندما كان التدريس في العلوم الاجتماعية، في جامعة الجزائر يتم باللغتين العربية والفرنسية لنفس التخصصات، وأحيانا من طرف نفس الأساتذة، وتتمثل في خلو لغتنا من الحرف الكبير (**Majuscule**) الذي تبدأ به حروف الاسم العلم، أو يشير إلى بداية فقرة أو جملة جديدة في اللغات اللاتينية والسكسوجرمانية، كما أننا نفتقر إلى دلالة موحدة للعلامات، وخاصة المعقوفات والأقواس، المهمة في تحرير المذكرات والتقارير العلمية، وهذه المسألة ليست شكلية، إذ أن لها علاقة وثيقة بالمنهجية والمصطلحية العلمية، من المهم أن يتفق عليها الجميع وأن يتعلمها التلاميذ قبل نهاية المدرسة الأساسية.

إن العولة تداهمنا في عقر دارنا، وتحمل إلينا غثها وسمينها، ويبدو لنا أن الحل لا يكمن في تجاهلها، أو اتخاذ موقف، يشبه موقف الثعلب من العنب بالتهجم على سلبياتها وشرورها، إن القافلة تتحرك بنا أو بدوننا، ومن الأفضل، بل من المحترم علينا، أن نفتك مكانتنا فيها.

وتبدأ تلك المكانة بالعلماء اللذين عليهم ان يقتنعوا فيما بينهم أولا، ويقنعوا أولي الأمر ثانيا، بأن ما يجمعنا أكثر مما يفرقنا، وأن منطقتنا دفعت ثمنا باهضا بسبب

التخلف والتشتت، وبعض الصراعات المفتعلة، وأن طريقنا إلى النجاة يبدأ بالتضامن الموضوعي، ويرتقي بالعلم والعمل.

إن زمن التنابز والادعاء بالزعامات والشعارات اللفظية قد ولى وانقضى، إن أمتنا العربية الإسلامية في حاجة اليوم إلى تفعيل مؤهلتها المادية والمعنوية، وقد أدركت النخب الحرة في تفكيرها، وشرائح كبيرة من مجتمعاتنا، أن قوة خصومنا هي من ضعفنا وتشتتنا وتخلفنا، ولا شك أن اللّغة العربية وما تحمله من مضامين الرقي في ميادين العلوم والفنون والآداب، هي رسولنا إلى محيطنا الحضاري العالمي، فهل يتحول الحلم إلى إرادة والطموح إلى حقيقة؟